AL-ʻULŪM ISSN: 2709-3484 (Print) | 2709-3492 (Online)
https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/about
(January-June 2026), 7:1(73-94)

الاعتراضات الواردة على ابن شهاب الزهري: دراسة تحقيقية

أسد عباس

باحث، قسم اللغة العربية، معهد الكرم الدولي، بهيره - باكستان

Objections Raised Against Imām Ibn Shihāb al-Zuhrī: A Research Study

Asad Abbas [1]
Research Scholar, Arabic Department, Al-Karam International Institute, Bhera, Pakistan

Keywords:
Ibn Shihāb al-Zuhrī, Ḥadīth Compilation, Goldziher, Umayyads, Office of Judgeship, Jarḥ wa Taʿdīl.

Abstract: This research presents a scholarly and critical examination of the pioneering architect of ḥadīth compilation and the leading authority of learning in the Ḥijāz and Syria, Ibn Shihāb al-Zuhrī along with an analysis of the objections raised against him by Ignaz Goldziher. Ibn Shihāb al-Zuhrī renowned for his noble lineage, extraordinary memory, and his association with five distinct generations of teachers and students came to be known as Jabal al-ʿIlm (the Mountain of Knowledge). The primary objective of this study is to dismantle those objections which seek unsuccessfully to portray his relations with the Umayyad caliphs. Through historical and technical evidence, the research demonstrates that his political engagement was not motivated by ambition or courtly expediency, but rather by a commitment to administrative reform and, above all, by the monumental project of ḥadīth compilation undertaken at the directive of Caliph ʿUmar ibn ʿAbd al-ʿAzīz. Drawing upon the juridical reasoning of the author of al-Hidāyah and Imām Ibn al-ʿArabī, the study elucidates the intellectual principle that accepting the office of judgeship for the establishment of justice is not contrary to piety. The study concludes the authenticity of al-Zuhrī's narrations, his foundational role in the early compilation of ḥadīth, and the discipline of isnād he helped establish are unanimously affirmed by the authorities of jarḥ wa taʿdīl. It becomes abundantly clear that Ibn Shihāb al-Zuhrī was among the trusted custodians of prophetic illuminatio one whose insight and intellectual rigor ensured the enduring protection of the Sunnah from distortion.

How to Cite

Asad Abbas. (2026). الاعتراضات الواردة على ابن شهاب الزهري: دراسة تحقيقية Objections Raised Against Imām Ibn Shihāb al-Zuhrī: A Research Study. Al-ʻUlūm Journal of Islamic Studies, 7(1), 73–94. Retrieved from https://alulum.net/ojs/index.php/aujis/article/view/205

Corresponding author Email: masadkhan78662@gmail.com

المدخل

الحمد لله الذي أنعم فكفى وخلق فاصطفى وعرفنا أصول الدين والصلاة والسلام على النور المبين والنبي الطاهرين الأمين وعلى آله و أصحابه الغر المحجلين.

تستند هذه الدراسة إلى مراجعة بحثية لحياة التابعي الجليل ابن شهاب الزهري وجهوده في خدمة الحديث النبوي، إذ يتمتع الزهري بمكانة فريدة في التاريخ الإسلامي بوصفه أول من دوّن الحديث ومؤسس فن الإسناد، يتناول هذا البحث نسبه، وقوة حافظته المنقطعة النظير، واكتسابه العلم من صحبة الصحابة -رضي الله عنهم-، كما يسلط الضوء على دوره المحوري في حفظ ذخيرة الحديث النبوي بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز، ويتضمن البحث دفاعاً عن ثقته في ضوء آراء أئمة الجرح والتعديل، ورداً علمياً مسكتاً على اعتراضات المستشرقين، ولا سيما جولد تسيهر، وقد سعى البحث إلى إزالة الشكوك والشبهات المثارة حول الأهلية العلمية لابن شهاب الزهري مع توضيح تضحياته الغالية في سبيل حماية الدين.

إن البحث في شخصية ابن شهاب الزهري هو في الواقع مفتاح الدفاع عن الحديث النبوي، فهو أول محدث جليل القدر في تاريخ الإسلام وضع حجر الأساس لتدوين الحديث، وجعل من فن الإسناد ضابطاً منهجياً، وبما أن المستشرقين قد جعلوا من شخصه هدفاً ليشككوا في ذخيرة الحديث، فإن دراسة ثقته العلمية وسيرته تعد أمراً ضرورياً للتصدي لفتنة إنكار الحديث، ولإثبات حجية السنة النبوية ﷺ.

يتبين من خلال المراجعة النقدية للأدبيات الموجودة حول شخصية ابن شهاب الزهري وخدماته العلمية أن العمل السابق منقسم إلى طرفين أساسيين، فقد ركز المتقدمون (مثل الذهبي، وابن حجر وغيرهما) جل اهتمامهم على تحديد ثقته الفنية، وحفظه، ودرجات مروياته، بينما قدم باحثو العصر الحديث (مثل الدكتور مصطفى الأعظمي، والدكتور حارث الضاري وغيرهما) في الغالب مراجعة علمية دفاعية ضد اعتراضات المستشرقين، ولا سيما جولد تسيهر، ومع ذلك فقد وُجد نقص في دراسة جامعة تقدم تفاصيل سيرة ابن شهاب الزهري وطبقات تلاميذه الفنية، والدفاع عن صحبته السياسية، ففي الأبحاث السابقة، غالباً ما اعتُبرت علاقات ابن شهاب الزهري السياسية حدثاً عرضياً، بينما بقيت تفاصيل آثارها العميقة على مقاصده التدوينية تفتقر إلى التوجيه العلمي.

أمّا أسئلة البحث الأساسية، فهي كالآتي: ما هو دور ابن شهاب الزهري في التزام الإسناد في الحديث ووضع معايير النقد؟ كيف يؤثر تنوع شيوخ ابن شهاب الزهري وتلاميذه على ثقته العلمية؟ ما هو التضاد بين اتهامات التشيع الموجهة لابن شهاب الزهري وآراء أئمة الجرح والتعديل؟ لماذا استهدف المستشرقون مثل جولد تسيهر شخصية ابن شهاب الزهري تحديداً؟ وهل استندت اعتراضاتهم إلى حقائق تاريخية أم كان هدفهم التشكيك في ذخيرة الحديث؟ هل قبول ابن شهاب

الزهري لمنصب القضاء يتنافى مع تقواه وثقته؟ هل التزم ابن شهاب الزهري بكلمة الحق رغم وجوده في بلاط الخلفاء؟

تسعى هذه الدراسة إلى ملء الفجوة العلمية السابقة، حيث تقدم سردية جامعة من خلال الربط بين الجوانب الفنية في حياة الإمام الزهري رحمه الله (مثل طبقات الرواة) والجوانب التاريخية، إن الرد على اعتراضات المستشرقين في هذا البحث ليس مجرد رد عاطفي، بل هو رد صيغ في ضوء أصول الجرح والتعديل، ومن حيث الدراية، ومقاصد الشريعة، مما يثبت أن قبول منصب القضاء لا ينافي التقوى، بل هو وسيلة لإقامة العدل، يقدم هذا البحث مزيجاً بين المصادر القديمة (مثل تهذيب الكمال، وسير أعلام النبلاء) والمراجع البحثية الحديثة، مما يلبي متطلبات الاستناد العلمي إلى جانب الوفاء بمعايير البحث المعاصر.

كما يسعى هذا البحث إلى إبراز المكانة العلمية المرموقة للإمام ابن شهاب الزهري بوصفه جبل العلم مع بيان شرفه النسبي وحافظته العبقرية الفذة، وإثبات ريادته وأولويته في جمع الحديث النبوي وتدوينه على المستوى الرسمي فضلاً عن جهوده في الترتيب المنظم لتلك الذخيرة الحديثية المتناثرة- كما يتناول البحث مراجعة دوره المحوري في جعل الإسناد شرطاً لازماً للروايات، ووضع المعايير الأساسية لعلم الجرح والتعديل مع توضيح اتفاق كلمة الأمة على إمامته العلمية وإتقانه وثقته في ضوء آراء وأقوال أئمة هذا الفن- وفي الختام ينهض البحث بمهمة الدفاع عن ديانة الإمام ونزاهته من خلال تقديم رد تاريخي وعلمي رصين يفند الاعتراضات السياسية التي أثارها المستشرق جولد تسيهر.

اعتمدت هذه الدراسة المنهج الوصفي والتحليلي، حيث استند البحث إلى المصادر الموثوقة والأصلية، ولا سيما كتب الجرح والتعديل وأسماء الرجال، ولتحديد المراتب العلمية لتلاميذ ابن شهاب الزهري، تم تبني الأصول الفنية للطبقات الخمس التي وضعها الإمام الحازمي.وفي الرد على اعتراضات المستشرقين، تم اختيار الأسلوب المقارن والدفاعي مع الاستدلال بالأدلة التاريخية والعقلية، وبناءً على الشواهد التاريخية والفنية المقدمة، تم استخراج النتائج المتعلقة بالجلالة التحديثية لابن شهاب الزهري وأولويته في تدوين الحديث.

التعريف بابن شهاب الزهري رحمه الله

تعد شخصية ابن شهاب الزهري رحمه الله في التاريخ الإسلامي بمثابة المنارة الساطعة لعلم الحديث، حيث أدى دوراً محورياً في حماية الرواية النبوية ﷺ من الضياع، اسمه محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله الأصغر بن شهاب بن عبد الله بن الحارث بن زهرة بن كلاب بن مرة[1]،

[1] - محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1996م)، 222.

كنيته أبو بكر[2]، ولقبه ابن شهاب الزهري، ينتمي إلى بنو زهرة، وهي فرع عزيز من قريش، وإلى هذه النسبة يسمى الزهري. ومن شرفه النسبي أن نسبه يلتقي بنسب والد النبي ﷺ عند كلاب بن مرة، وبنسب والدته المصونة عند زهرة بن كلاب[3]. ويضم نسبه شخصيات جليلة القدر مثل الصحابيين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهما[4]. ورغم الاختلاف في تاريخ ميلاده، حيث قيل سنة 50هـ وقيل سنة 57هـ[5]، إلّا أن القول الراجح أنه ولد سنة 51هـ [6]بالمدينة المنورة في أسرة فقيرة[7]. وكان من بين أجداده عبد الله الأكبر، وهو رجل جليل القدر نال شرف الهجرة إلى الحبشة.

يُعد الإمام الزهري في فن الحديث جبل العلم ودائرة معارف كاملة، وهذا محل اتفاق بين المحدثين وعلماء الجرح والتعديل، ويمكن تقدير جلالته العلمية من قول الليث بن سعد: لولا الزهري لذهب كثير من السنن[8]، لقد كانت جهوده المضنية هي السبب في بقاء الأحاديث النبوية.

بدأ الإمام الزهري رحمه الله رحلته العلمية بالقرآن الكريم، وحفظه في ثمانين يوماً فقط بفضل ذكائه المتقد[9]، ثم تعلم علم الأنساب من عبد الله بن ثعلبة[10]، وبعده توجه إلى الفقه والحديث، لزم كبار فقهاء عصره، لا سيما سعيد بن المسيب، وعروة بن الزبير، وعبيد الله بن عبد الله، حتى برع في الفقه[11]، عاصر نحو عشرين من الصحابة الكرام، منهم ابن عمر وأنس بن مالك رضي الله عنهم، واستقى من علومهم[12].

وعندما رأى الخليفة عبد الملك بن مروان ذكاء قلبه ومهارته في القرآن والفرائض، قضى دين والده، واشترى له داراً في المدينة، ونصحه قائلاً: اطلب العلم، واطلب الحديث من بيوت

---

[2] - المرجع السابق (المدينه المنوره: مكتبة العلوم والحكم، بدون التاريخ)، 157.

[3] - أبو محمد على بن أحمد بن سعيد بن حزم الأ ندلسي القرطبى، **جمهرة أنساب العرب** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1983م)، 17:1.

[4] - أبو المنذر هشام بن محمدأبى النضر ابن السائب، **جمهرة أنساب العرب**، 78-77.

[5] - على بن محمد، **الكامل فى التاريخ** (بيروت: دار الكتب العربى، 1417ه)، 281:4.

[6] - أبو عمر خليفه بن خياط، **تاريخ خليفه** (دمشق: دار القلم، 1397ه)، 218:1.

[7] - ابن سعد، طبقات **الكبرى**، 157.

[8] - يعقوب بن سفيان، **المعرفة والتاريخ** (بيروت:مؤسسة الرسالة، 1401ه)، 347:3.

[9] - المرجع السابق، 633:1.

[10] - محمد بن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار إحياء التراث العربى، 1996م)، 222:5.

[12] - أحمد بن عبد الله أبو نعيم أصفهانى، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 26:3و425.

الأنصار.ومنذ ذلك الحين، انقطع تماماً لخدمة الحديث[13]، وبحسب زميله صالح بن كيسان، فإن الزهري لم يكتفِ بتدوين الأحاديث النبوية ﷺ فحسب، بل دوّن آثار الصحابة أيضاً، وكانت هذه النقطة هي التي ميزته وجعلته متفوقاً على أقرانه[14]، ولأجل تثبيت حفظه، كان يعود إلى منزله ويسمّع الأحاديث لجاريته أو زوجته، وإذا ملّوا كان يقول: لستُ أريد أن أسمعكِ، إنما أردت أن أستذكر[15]، وفي بعض الأحيان كان يوقظ جاريته النائمة ليكرر أمامها ما سمعه في ذلك اليوم من الأحاديث حتى تترسخ في حافظته[16]. وقد بلغ من قوة حفظه أن الخليفة هشاماً طلب منه ذات مرة إملاء 400 حديث، وعندما طلب منه إعادتها بعد فترة، لم يتغير فيها حرف واحد. [17]

يعد ابن شهاب الزهري من كبار تابعي المدينة الذين ارتوى بستانهم الفكري والعلمي مباشرة من صحبة الصحابة. وبحسب ابن خلكان، فقد استقى العلم من عشرة من الصحابة[18]، بينما تشير تحقيق أبو نعيم الأصبهاني إلى أنه نهل من معارف نحو عشرين نفسا زكية، وقد كانت لقاءاته الكثيرة بأصحاب الرسول ﷺ بمثابة حجر الزاوية لإمامته الفقهية وجلالته التحديثية.

وفيما يلي أسماء الصحابة الذين لقاهم ابن شهاب الزهري: عبد الله بن عمر، وأنس بن مالك، وسهل بن سعد، والسائب بن يزيد، وعبد الله بن ثعلبة بن صغير، وأبو أمامة بن سهل بن حنيف، وعبد الله بن عامر بن ربيعة، وعبد الرحمن بن أزهر، ومحمود بن الربيع، ومحمود بن لبيد، ومسعود بن الحكم، وكثير بن العباس، وسفيان أبو جميلة، وأبو مويهبة، وأبو الطفيل، وابن أبي سندر، وربيعة بن عباد الدؤالي، ورجل من بلي، وقيل: إنه رأى عبد الله بن الزبير، والحسن، والحسين[19].

إن سعة حلقة أساتذة ابن شهاب الزهري وتنوعها لدليل بين على عظمته العلمية، وفيما يلي بيان لضياء رحلته التعليمية:

---

[13] - أبو الفضل محمد بن مكرم جمال الدين بن منظور، **مختصر تاريخ دمشق لابن عساكر** (دمشق: دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، 1413هـ)، 230:23.

[14] - المرجع السابق، 231:23.

[15] - المرجع السابق، 231:23.

[16] - أحمد بن علي خطيب البغدادي، **الجامع لاخلاق الراوى وآداب السامع** (الرياض: مكتبة المعارف، 1983م)، 268:2.

[17] - يعقوب بن سفيان، **المعرفة والتاريخ**، 357:1.

[18] - أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان، **وفيات الأعيان** (بيروت: دار الصادر، بدون التاريخ)، 177:4.

[19] - أبو نعيم الأصفهانى، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1409هـ)، 372:3.

يحظى ابن شهاب الزهري بنيل شرف نادر، حيث ضمت قائمة أساتذته عدداً كبيراً من الصحابة الكرام ورثة علم النبوة مباشرة إلى جانب جمع غفير من كبار التابعين، وقد ذكرت تاليف تهذيب الكمال في قائمة شيوخه ما يقارب 165 شخصية، نذكر من أسمائهم ما يلي:

أبان بن عثمان بن عفان، إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف اسماعيل بن محمد بن سعد بن ابي وقاص، أنس بن مالك، حرملة بن عبد الله بن عمر بن خطاب، خارجة بن زيد بن ثابت، سالم بن عبد الله بن عمر، عبيد بن السباق، سعيد بن المسيب، سليمان بن يسار، عامر بن سعد بن أبى وقاص، عبد الله بن عمر بن خطاب عبد الله بن وهب بن زمعة، عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عبيد الله بن عبد الله بن عمر بن خطاب عروة بن زبير على بن حسين بن على بن أبى طالب عمر بن عبد العزيز، قاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق، كثير بن عباس بن عبد المطلب، يحي بن سعيد أبو أمامة بن سهل بن حنيف، عمرة بنت عبد الرحمن وغيره[20].

إن مكانة ابن شهاب الزهري العلمية هي بمثابة غرة في جبين التاريخ الإسلامي، فقد جمع بجهده المتواصل ليل نهار ذخيرة عظيمة من علم الحديث حتى صار إماماً للمحدثين الكبار منذ صغره، ذات مرة قدم ابن شهاب إلى مكة، فقال عمرو بن دينار لأصحابه: اذهبوا بنا إليه، فلما دخلوا مجلسه وتعلق قلبه بعلمه، سأله أصحابه حين عاد إليهم: أخبرنا كيف وجدت الزهري؟ فقال: والله ما رأيت مثل هذا الفتى القرشي قط[21]، وقد اعترف كل عالم كبير في ذلك العصر بجلالته العلمية بهذه الكلمات.

لقد أرسل خليفة الوقت عمر بن عبد العزيز أمراً إلى كافة الآفاق نظراً لمهارته التامة قائلاً: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدا أعلم بالسنة الماضية منه[22].

وكان الإمام مالك أيضاً معترفاً بتبحره في العلم، حيث قال: ما أدركت فقيهاً محدثاً غير واحد، فقلت من هو؟ قال: ابن شهاب الزهري[23].

كتب الإمام الشافعي عنه في الرسالة: إن ابن شهاب عندنا إمام في الحديث وثقة، روى العلم عن بعض أصحاب الرسول ﷺ وكبار التابعين، ولا نعلم أحداً من المحدثين أفضل ولا أشهر ممن روى عنهم ابن شهاب إلا وقد روى عنه[24]. وروي عن سعيد بن عبد العزيز أن سليمان بن

---

[20] - أبو الحجاج يوسف بن عبد الرحمن المزي، **تهذيب الكمال** (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1400هـ)، 233:23.

[21] - أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خلكان، **وفيات الأعيان**، 177:4.

[22] - المرجع السابق، 177:4.

[23] - عبد الرحمٰن بن على ابن الجوزى، **صفة الصفوة** (مصر: دار الحديث، 1421هـ)، 376:1.

[24] - محمد بن ادريس الشافعى، **الرسالة** (مصر: مكتبة الحلبى، 1358هـ)، 469.

موسى كان يقول لنا: إذا أردنا العلم من الحجاز فمرجعنا ابن شهاب الزهري، ومن العراق الحسن البصري، ومن الجزيرة ميمون بن مهران، ومن الشام مكحول، وبقوله كان هؤلاء الأربعة أئمة عهد هشام[25]. ويقول علي بن المديني: إن هناك ست شخصيات جليلة القدر من الناحية العلمية يثق بها الأمة بأكملها: أهل المدينة يثقون بابن شهاب الزهري، وأهل مكة بعمرو بن دينار، وأهل الكوفة بأبي إسحاق والأعمش، بينما يثق أهل البصرة بقتادة ويحيى بن أبي كثير في علم الحديث[26]. لقد كان ابن شهاب الزهري بحراً من العلم، وكان يتمتع بمكانة بارزة بين علماء عصره بفضل سعة علمه، ويصف يحيى بن سعيد مكانته العلمية قائلاً: إن العلم الذي عند ابن شهاب الزهري ليس عند أحد غيره الآن[27]. وينقل عبد الرزاق عن ابن عيينة أن محدثي أهل الحجاز ثلاثة: ابن شهاب الزهري، ويحيى بن سعيد، وابن جريج، وكذلك يقول علي بن المديني: إن الذين يُعمل بفتواهم أربعة: الزهري والحكم وحماد وقتادة، ولكن عندي أفقههم ابن شهاب الزهري[28].

وذكر يعقوب بن سفيان: مات الزهري يوم مات وليس أحد أعلم بالسنة، وأخبرني الليث عن الجمحي قال: ما رأيت أحداً أقرب شيئاً من ابن شهاب من يحيى بن سعيد، ولولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن[29]. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحداً أعلم بالحديث من ابن شهاب[30].

وفي ثناء الإمام الذهبي على الزهري قال: إن ابن شهاب الزهري كان له مكانة كبيرة عند هشام بن عبد الملك، فكان يقدره كثيراً ويفتح له أبواب عطائه، حتى إنه أعطاه مرة سبعة آلاف دينار كهدية[31].

ويقول الإمام مسلم إن الإمام الزهري كان منفرداً في قوة حافظته:ما استعدت حديثاً قط ولا شككت في حديث قط إلا حديثاً واحداً فسألت صاحبي فإذا هو كما حفظت، وقال عمرو: ما رأيت أحداً أبصر بالحديث من الزهري[32].

---

[25] - يوسف بن عبد الله (ابن عبد البر)، **التمهيد لما فى المؤطا من المعانى والأسانيد** (مراكش: وزارة عموم الوقوف والشؤون الإسلامية، 1387هـ)، 11:6.

[26] - على بن عبد الله المدينى، **العلل** (بيروت: المكتب الاسلامى، 1980م)، 37.

[27] - إسماعيل ابن عمر (ابن كثير)، **البداية والنهاية** (بيروت: دار إحياء التراث العربى، 1408هـ)، 375:9.

[28] - المرجع السابق ، 375:9.

[29] - يعقوب بن سفيان، **المعرفة والتاريخ**، 635:1.

[30] - أبو نعيم أصفهانى، **حلية الاولياء و طبقات الأصفياء**، 36:3.

[31] - محمد بن أحمد الذهبى، **العبر فى خبر من غبر** (بيروت: دار الكتب العلمية، بدون التاريخ)، 122:1.

[32] - مسلم، مسلم بن الحجاج، **التمييز** (السعودية :مكتبة الكوثر، 1410هـ)، 176.

وقد أشيد بخدمته للحديث هكذا: لولا ابن شهاب لذهب كثير من السنن[33]، [34]. وقال أيوب السختياني: ما رأيت أحدا أعلم من الزهريّ[35]. لقد كان بحراً من العلم لا ساحل له، واتفق جميع خبراء فن الحديث على ثقته وإمامته.

إن قائمة التلاميذ الذين نهلوا من حلقة درس ابن شهاب الزهري طويلة جداً، وتضم كبار المحدثين والأئمة الأجلاء في عصرهم، وتبلغ مروياته من الثقة العلمية مبلغاً جعلها ليست فقط أساساً وزينة للصحيحين(البخاري ومسلم)، بل لجميع كتب الصحاح.

لقد روى عنه: عقيل، ويونس، والزبيدي، وصالح بن كيسان، ومعمر، والأوزاعي، والليث، ومالك، وسفيان بن عيينة، ومحمد بن إسحاق، وخلق كثير غيرهم[36]. وقد ذكر في حلية الأولياء تلاميذ الحرمين بصفة خاصة، مثل: عمرو بن دينار، ويحيى بن سعيد الأنصاري، وأبو سهيل نافع بن مالك وغيرهم[37].

قسم أبو بكر الحازمي رحمه الله تلاميذ الإمام الزهري رحمه الله إلى خمس طبقات بناءً على حفظهم وإتقانهم، وذلك لتحديد مراتبهم العلمية:

الطبقة الأولى: وهم أساتذة الفن الذين كانوا عديمو النظير في الثقة والحفظ وطول ملازمة الإمام الزهري رحمه الله، وبناءً على معيار إتقانهم، يقبل الإمام البخاري رحمه الله رواياتهم بلا تردد ومنهم: الإمام مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعبيد الله بن عمر، ويونس، وعقيل، وشعيب بن أبي حمزة، وجماعة كثيرة.

الطبقة الثانية: هؤلاء الرواة كانوا متقنين في العدالة، لكنهم في الحفظ وطول الملازمة كانوا دون الطبقة الأولى، ومنهم: عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي، والليث بن سعد، والنعمان بن راشد، وعبد الرحمن بن خالد بن مسافر وغيرهم، وقد روى عنهم الإمامان البخاري ومسلم.

الطبقة الثالثة: رواة أصحاب ملازمة طويلة، لكنهم في الوثاقة والحفظ دون الطبقتين الأوليين.وتتوافق هذه الطبقة مع شروط الإمام أبي داود والإمام النسائي، ومنهم: سفيان بن حسين السلامي، وجعفر بن برقان، وعبد الله بن عمر بن حفص، وزمعة بن صالح المكي وغيرهم.

---

[33] - محمد بن محمد العواجى، **مرويات الامام الزهرى فى المغازى** (1425هـ)، 105:1.

[34] - على بن الحسن (ابن عساكر)، **تاريخ دمشق** (بيروت: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ)، 355:55.

[35] - محمد بن محمد العواجى، **مرويات الإمام الزهري فى المغازي**، 105:1.

[36] - محمد بن محمد على بن حجر عسقلانى، **تهذيب التهذيب** (الهند: مطبعة دائرة المعارف النظامية، 1326هـ)، 428:9.

[37] - أبو نعيم أصفهانى، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، 372:3.

الطبقة الرابعة: يماثلون الطبقة الثالثة في الجرح والتعديل، لكن مدة ملازمتهم للإمام الزهري كانت قصيرة، وتتوافق هذه الطبقة مع شروط الإمام أبي عيسى الترمذي، ومنهم: إسحاق بن يحيى، ومعاوية بن يحيى الصدفي، وإسحاق بن عبد الله بن أبي فروة المدني، وإبراهيم بن يزيد المكي، والمثنى بن صباح، وجماعة كثيرة.

الطبقة الخامسة: مجموعة من الرواة الضعفاء والمجهولين الذين لا تقبل رواياتهم إلا كشواهد ومتابعات، وهم لا يستوفون معايير الإمام البخاري رحمه الله، وإن كان الإمام أبو داود رحمه الله وغيره قد استفادوا منهم مع الاحتياط.ومنهم: الحكم بن عبد الله الأيلي، وعبد القدوس بن حبيب، ومحمد بن سعيد وغيرهم[38].

جهود ابن شهاب الزهري في علم الحديث

لقد تحمل ابن شهاب الزهري في سبيل طلب العلم سهر الليالي وصعوبات السفر الطويل، وبفضل حافظته التي لا تضاهى، وذاكرته القوية، وديانته وصدقه، صار مرجعاً للخلائق، مما جعل طالبي العلم من شتى أنحاء العالم يقصدون بابه بحثاً عن الحديث النبوي، إن للإمام الزهري رحمه الله في علم الحديث إنجازين تاريخيين عظيمين، وهما كما يلي:

الأول: يعود الفضل الأول في جمع الأحاديث النبوية وترتيبها على المستوى الرسمي بأمر من الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الإمام الزهري رحمه الله، ورغم صدور الأوامر لولاة آخرين، إلا أن ابن حزم جمع نزراً يسيراً من الأحاديث، أما الشخصية التي قامت بجمع الأحاديث من كافة أنحاء العالم الإسلامي بغاية الدقة والجهد، واستحقت اللقب التاريخي كأول مدون للحديث، فهي الإمام الزهري رحمه الله وحده، لقد نظم الدرر العلمية المتناثرة في عقد واحد ووضع حجر الأساس لفن الحديث[39]. وقد نقل العلامة ابن كثير قول الإمام مالك: قال مالك: أول من دون العلم ابن شهاب[40].

والثاني: أنك أول محدث جعل الإسناد لازماً ووضع معياراً لنقد الأحاديث، مما مكن من التمييز بين الطيب والخبيث(الصحيح والسقيم)، لقد منح ابن شاب الزهري رحمه الله الحديث

---

[38] - حافظ محمد عبد القيوم، **إمام ابن شهاب زهری اوران په اعتراضات کا تحقیقی جائزه** (لاهور: شیخ زید اسلامک سینٹر جامعه پنجاب، 2006م)، 12-14.

[39] - مصطفى سباعى، **السنة و مكانتها فى التشريع الاسلامى** (لاهور: المكتب الاسلامى، 1985م)، 211.

[40] - ابن كثير، **البداية والنهاية**، 375:9

وقار الإسناد وجعله فناً لا يزول، إذ لم يكن المحدثون قبله يهتمون بالإسناد مع متن الحديث بهذا القدر[41].

وفي الجرح والتعديل ورد قول الإمام مالك:أول من أسند الحديث ابن شهاب[42]. وقال الإمام أحمد بن حنبل: أحسن الناس حديثاً وأجودهم إسناداً الزهري[43].

لقد كان ابن شهاب الزهري أحسن الناس سياقاً للحديث، وكان يتبوأ مقاماً عالياً من حيث الإسناد.

كما يحوز ابن شهاب الزهري مقام الأولية في كونه أول من دون العلم، وينقل العلامة الذهبي قولاً: أول من دون العلم وكتبه ابن شهاب[44]،[45]. وكذلك يقول حضرت سعد: ما أرى أحداً جمع بعد رسول الله ما جمع ابن شهاب[46]،[47].

ولما رأى ابن شهاب الزهري رحمه الله المحدثين في الشام يحدثون بغير إسناد، أنكر عليهم قائلاً:يا أهل الشام! مالي أرى أحاديثكم ليس لها أزمة ولا خطام؟ (أي ليس لها إسناد ولا مدار للإسناد)، وبحسب الوليد بن مسلم، فقد كان لتنبيهه المؤثر هذا أثر عظيم، حيث عرف محدثو الشام أهمية الإسناد، ولم يحدثوا بعد ذلك بحديث ولا سمعوه إلا بإسناد[48].

يُسمى ابن شهاب الزهري في علم الحديث جبل العلم، فقد طاف بلاد الحجاز والشام بحثاً عن الأحاديث. وكانت ثمرة هذا البحث الدؤوب أنه لم يبقَ حديث في تلك الأرجاء إلا وهو في علمه. وقد قال عن نفسه: مكثت خمس وأربعين سنة أتردد بين الحجاز والشام، فما كنتُ أسمع حديثاً أستطرفه(أي أراه جديداً)[49].

---

41 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سير أعلام النبلاء** (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1405هـ)، 333:5.

42 - عبد الرحمن بن محمد ابن أبى حاتم، **الجرح والتعديل** (حيدر آباد: طبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، 1271هـ)، 76:8.

43 - ابن كثير ، **البداية والنهاية**، 376:9.

44- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سيرأعلام النبلاء**، 334:5.

45- ابن منطور، **مختصرتاريخ دمشق لابن عساكر**، 334:23.

46 - المرجع السابق، 234:23.

47 - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سيرأعلام النبلاء**، 234:5.

48 - المرجع السابق، 234:5.

49 - ابن عساكر، **تاريخ دمشق** (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، 1415هـ)، 34:55.

وقد بلغت هيبته وتفوقه العلمي مبلغاً جعل كبار الشيوخ يصمتون في حضرته.ويشهد الإمام مالك أن المحدثين الشيوخ في المدينة ممن بلغوا السبعين والثمانين عاماً، لم يكن يأتيهم طالب علم ما دام الإمام الزهري رحمه الله موجوداً في المدينة، ورغم صغر سنه، كان الطلاب يزدحمون حوله، ولم يكن المحدثون الآخرون يجلسون لدرس الحديث إلا بعد رحيله، يقول الإمام مالك: كان الزهري إذا دخل المدينة لم يحدث بها أحد من العلماء حتى يخرج الزهري[50].

عدد مرويات ابن شهاب الزهري

نقل العلامة المزي رحمه الله عن الإمام أبي داود رحمه الله قوله: أسند الزهري أكثر من ألف حديث عن الثقات وحديث الزهري كله ألفا حديث ومائتا حديث[51].

آراء العلماء في فضائل ابن شهاب الزهري

يعد ابن شهاب الزهري من النجوم الزاهرة في تاريخ الحديث، حيث اعتبرته شخصية عبقرية كالإمام الشافعي رحمه الله معياراً للثقة، ورآه الخليفة عمر بن عبد العزيز رحمه الله أعلم الناس بالسنن الماضية، لم يكتفِ بجمع الدرر العلمية المتناثرة في كتب، بل وضع حجر الأساس لفن الإسناد، مما حمى الحديث النبوي ﷺ من التحريف إلى الأبد.

نُقل عن الإمام قتادة رحمه الله: لم يبقَ على ظهر الأرض أحد أعلم بالسنة الماضية من ابن شهاب الزهري[52].

ويقول سعيد بن عبد العزيز إن الإمام الزهري بحر العلوم: عن سعيد بن عبد العزيز:ما ابن شهاب إلا بحر[53].

وقد أكد الخليفة عمر بن عبد العزيز على أصحابه بضرورة الاستفادة من علم ابن شهاب الزهري قائلاً: عن معمر قال: قال عمر بن عبد العزيز: أتأتون الزهري؟ قلنا: نعم. قال: فأتوه فإني لا أعلم أحداً أعلم بسنة ماضية منه[54].

ويقول الإمام مالك: بقي ابن شهاب وما له في الدنيا نظير[55].

---

[50] - المرجع السابق، 34:55.

[51] - المزي، **تهذيب الكمال**، 431:26.

[52] - يعقوب بن سفيان، **المعرفة والتاريخ**، 359:1.

[53] - المرجع السابق، 357:1.

[54] - المرجع السابق، 357:1.

[55] - المرجع السابق، 357:1.

ويقول الإمام عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي: حدثنا أيوب بن سويد قال: سمعت الأوزاعي يقول: لا أدرك أحداً خلافة هشام من التابعين أفقه منه[56].

ويروي الليث: عن الليث قال: ما رأيت عالماً قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علماً منه، ولو سمعت ابن شهاب يحدث في الترغيب، لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن الأنبياء وأهل الكتاب لقلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن العرب والأنساب قلت: لا يحسن إلا هذا، وإن حدث عن القرآن الكريم والسنة كان حديثه بنوع جامع[57].

ويقول الإمام أحمد بن حنبل:الزهري أحسن الناس حديثاً، وأجود الناس إسناداً[58]، [59].

ويقول الإمام الشافعي رحمه الله في الزهري: قال الشافعي: لولا الزهري ذهبت السنن من المدينة[60].

وأيضاً: وابن شهاب عندنا إمام في الحديث والتخيير وثقة الرجال، إنما يسمي بعض أصحاب النبي، ثم خيار التابعين، ولا نعلم محدثاً يسمي أفضل ولا أشهر ممن يحدث عنه ابن شهاب[61].

إن ابن شهاب الزهري عند الإمام الشافعي رحمه الله هو إمام الحديث وشخصية فوق الشبهات، وميزته أنه لا يروي إلا عن أفضل الصحابة والتابعين، مما يجعل أسانيده الأكثر معيارية واستناداً.

وفاته

انتقل إلى دار البقاء من هذه الدار الفانية في سنة مائة وأربع وعشرين هجرية (124هـ) على القول الراجح[62]،[63].

---

[56] - يعقوب بن سفيان، **المعرفة والتاريخ** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م)، 357:1.

[57] - أبو نعيم أصفهانى، **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1997م)، 414:3.

[58] - ابن أبى حاتم، **الجرح والتعديل**، 335:8.

[59] - محمد بن صادق بنكيران، **تدوين السنة النبوية في القرنين الثاني والثالث للهجرة** (المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، بدون التاريخ)، 14:1.

[60] - محى الدين بن شرف النووى، **تهذيب الأسماء واللغات** (بيروت: دار الفكر، 1996م)، 106:1.

[61] - محمد بن إدريس الشافعى، **الرسالة**، 469.

[62] - ابن سعد، **الطبقات الكبرى** (بيروت: دار احياء التراث العربى، بدون التاريخ)، 223:5.

[63] - أبو عمر خليفه بن خياط، **تاريخ خليفه**، 218.

ابن شهاب الزهري في ميزان أئمة الجرح والتعديل

لقد منح أئمة الجرح والتعديل الزهري ألقاباً مثل جبل العلم و إمام الحديث، وتعد شخصيته معتبرة لدرجة أن مدار أفضل أسانيد الدنيا عند الإمام النسائي رحمه الله يعود إلى ذاته، ويعتبر نقاد الحديث مثل الحافظ ابن حجر والإمام الذهبي حفظه وإتقانه وديانته فوق الشبهات.

سمع عبد الرحمن من أبيه قوله: الزهري أحب إلي من الأعمش، ويحتج بحديثه، وهو أثبت أصحاب أنس[64]، وعند العلامة محمد بن سعيد وأبي بكر المنجويه، كان الزهري أكبر حافظ للحديث في عصره، وفقيهاً رفيع القدر، وراوياً صادقاً؛ كان الزهري ثقة كثير الحديث والعلم والرواية فقيها جامعا، وكان من أحفظ أهل زمانه وأحسنهم سياقا لمتون الأخبار وكان فقيها فاضلا[65].

وعند الإمام النسائي، فإن اثنين من أفضل أربعة أسانيد تروى عن رسول الله ﷺ محورهما ابن شهاب الزهري، قال النسائي: أحسن أسانيد تروى عن رسول الله أربعة: منها الزهري عن علي بن الحسين، عن الحسين بن علي، عن علي بن أبي طالب عن رسول الله، والزهري عن عبيد الله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس، عن عمر، عن النبي، وأيوب عن محمد بن سيرين، عن عبيدة، عن علي عن النبي، ومنصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله عن النبي[66].

كما اعتبره الإمام أحمد بن حنبل صاحب أفضل الأسانيد، قال محمد بن سهل بن عسكر:سمعت أحمد بن حنبل يقول: الزهري أحسن الناس حديثاً، وأجود الناس إسناداً[67]،[68].

وقد أقّر الحافظ ابن حجر بأنه عالم الحجاز والشام، والفقيه الحافظ الذي اتفق جميع المحدثين على جلالته وإتقانه، وكتب ابن حجر في تعريفه: محمد بن مسلم بن شهاب الزهري هو أحد الأئمة الأعلام وعالم الحجاز والشام[69]، بينما كتب عنه في تقريب التهذيب:الفقيه الحافظ، متفق على جلالته وإتقانه[70]، وسماه الإمام الذهبي الحافظ الحجة: محمد بن مسلم الحافظ الحجة[71]، حدثنا عبد الرحمن سمعت أبي يقول: الزهري أحب إلي من الأعمش، يحتج بحديثه،

---

[64] - المزي، **تهذيب الكمال**، 226:23.

[65] - المرجع السابق، 227:23.

[66] - المرجع السابق، 226:23.

[67] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سير أعلام النبلاء**، 335:6.

[68] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والأعلام** (بيروت: دار الكتاب العربى، 1413هـ)، 244:8.

[69] - ابن حجر عسقلانى، **تهذيب التهذيب**، 385:9.

[70] - أحمد بن على ابن حجر العسقلانى، **تقريب التهذيب** (بيروت: دار الفكر، 1995م)، 562:1.

[71] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سير أعلام النبلاء**، 335:6.

وأثبت أصحاب أنس الزهري[72]، ونقل ابن أبي حاتم عن عبد الرحمن عن أبيه أن الأحاديث المروية عن الإمام الزهري يحتج بها، وقد وثقه أصحاب أنس، ويقول مكحول: فهو الثبت الحجة، وأين مثل الزهري[73]، وكتب الإمام الشافعي: ابن شهاب عندنا إمام في الحديث والتخيير وثقة الرجال[74].

وعن الزهري وعمرو بن دينار، قال أبو زرعة: حدثنا عبد الرحمن قال سئل أبو زرعة عن الزهري وعمرو بن دينار فقال: الزهري أحفظ الرجلين[75]، وكتب العلامة الزركلي عنه: أحد أكابر الحفاظ والفقهاء، تابعي، من أهل المدينة[76].

ويتفق العلماء والمحدثون على أن شخصية الإمام الزهري رحمه الله ليست محل خلاف؛ فحفظه وإتقانه وديانته فوق الشك والشبهات، ولذلك نالت مروياته القبول العام لدى الأمة جمعاء.

ابن شهاب الزهري والتشيع

لا يوجد في كتب الجرح والتعديل وأسماء الرجال أي دليل يثبت تشيع ابن شهاب الزهري، ولم ينسبه أحد من كبار المحدثين، بما في ذلك الإمام مالك رحمه الله إلى ذلك، إن مجرد ورود اسم شخص في كتب الرجال الشيعية لا يجعله شيعياً وإلا لطبق هذا الحكم (معاذ الله) على علي كرم الله وجهه الكريم والحسن والحسين رضي الله عنهما أيضاً، ومن القواعد المسلم بها عند المحدثين أنه متى ثبتت ثقة الراوي وعدالته فلا تبقى قيمة للاتهامات مثل التشيع، وهذا الاتهام في ضوء أصول علم الحديث يعد لغواً ولا حقيقة له. وبحسب الحافظ ابن حجر فإن اتهام الراوي بالتشيع لا يعد سبباً للجرح إذا كان الراوي ثقة، لأن القاعدة تقضي بأنه بعد ثبوت صدق الراوي وديانته العلمية، فإن ميله الشخصي لا يؤثر على صحة الرواية لاسيما إذا لم يكن داعية لمذهبه[77]، [78]، [79].

---

[72] - ابن أبي حاتم، **الجرح والتعديل**، 79:8.

[73] - شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، **سيرأعلام النبلاء**، 336:5.

[74] - الشافعى، **الرسالة**، 469.

[75] - المرجع السابق، 79:8.

[76] - خير الدين بن محمود الزركلى، **الأعلام** (بيروت: دار العلم للملايين، 2002م)، 97:7.

[77] - أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلانى، **فتح البارى شرح صحيح البخارى** (بيروت: دار المعرفة، 1379ھ)، 400:1.

[78] - طاهر بن صالح ابن أحمد بن موهب، السمعوني الجزائري، ثم الدمشقيّ، **توجيه النظر إلى أصول الأثر** (حلب: مكتبة المطبوعات الاسلامية، 1416ھ)، 252:1.

[79] - أبو الحسن بن عبيد الله بن محمد عبد السلام المباركفورى، **مرعاة المفاتيح شرح مشكاةالمصابيح** (الهند: ادارة البحوث العلمية والدعوة والافتاء، الجامعة السلفية، 1404ھ)، 394:7.

دراسة نقدية لاعتراضات المستشرق جولد تسيهر

يعد الإمام ابن شهاب الزهري المعمار الأول لتدوين الحديث في التاريخ الإسلامي.ومن أجل زعزعة مكانته المركزية، استهدف المستشرق جولد تسيهر دوره السياسي للتقليل من ثقته العلمية، حيث ادعى أن ارتباطه بالخلفاء الأمويين والوالي الحجاج وقبوله لمنصب القضاء قد أثر على ديانته.

إن الهدف الحقيقي لهذا النقد هو التشكيك في ذخيرة الحديث بأكملها من خلال الطعن في شخصية ابن شهاب الزهري رحمه الله.ولكن الحقيقة هي أن ارتباطه السياسي لم يكن طلباً للجاه، بل كان من أجل إصلاح النظام ونشر الدين، وفيما يلي سنقوم بالتحليل العلمي لهذه الاعتراضات.

ابن شهاب الزهري وخلفاء بني أمية

إن دعوى المستشرق جولد تسيهر بأن بني أمية اتخذوا ابن شهاب الزهري وسيلة لوضع أحاديث توافق أهواءهم هي دعوى تنافي الحقائق تماماً. والرد المختصر والجامع عليها كما يلي:

الدفاع الأصولي: لقد كان لأهل العلم دائماً صلة بالسلاطين، ولكن هذا لا يعني جرح ديانتهم العلمية.إن ابن شهاب الزهري كان يرتاد مجالس الخلفاء لا لمصلحة سياسية ، بل لتبليغ الدين، وتعليم الآداب، والتذكير بالله.

مثال على قول الحق: ذات مرة طرح الخليفة الوليد بن عبد الملك نظرية موضوعة مفادها أن سيئات الحكام لا تكتب.فقام ابن شهاب الزهري دون خوف بإبطال ذلك قطعيًا، وضرب مثالاً بنبي الله داود عليه السلام موضحاً أن قانون الله يسري على الجميع:

﴿ يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ۚ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾[80].

وقال ابن شهاب للخليفة: إذا كان الله لم يعف نبياً وخليفة كداؤد عليه السلام من المسألة، فما بال الخليفة العام؟ ألا يكون له وعيد؟ فقال الوليد: إن هؤلاء يضلوننا عن ديننا[81].

ثبت من هذا أن ابن شهاب الزهري لم يكن أداة مرعوبة من البلاط الملكي، بل كان مصلحاً مخلصاً وحارساً للسنة.لم يكن هدفه نيل رضا الحكام، بل استئصال الروايات الكاذبة وإنقاذ الخلفاء من الضلال والظلم وتوجيههم نحو الحق، كما أوضحنا آنفاً.

ثم السؤال هو: ماذا كان يطلب الإمام الزهري بمسايرة أهواء بني أمية؟ أكان يطلب المال؟

---

[80] - **القرآن**، 38 :26.

[81] - ابن عبد ربه، **العقد الفريد** (بيروت: دار الفكر، بدون التاريخ)، 60:1.

بما أن ابن شهاب الزهري لم يكن حريصاً على المال ولا طالباً للمنصب، فلماذا يبيع دينه وإيمانه؟ إذ يعترف الخصوم أنفسهم أن الدنيا لم تكن تساوي في نظره أكثر من بعرة بعير، وبما أنه كان يحظى بالقبول والعزة في العالم الإسلامي، فلا يوجد مسوغ عقلي يجعله يلطخ شهرته الأبدية بوضع أحاديث كاذبة لبني أمية.

علاقة ابن شهاب الزهري بالوالي الحجاج

إن اتهام جولد تسيهر لابن شهاب الزهري بصحبته للحجاج في الحج ليس إلا زيفاً ومحاولة لتشويه شخصيته، والحقيقة هي أن ابن شهاب الزهري لم يكن مع الحجاج ولا من حاشيته.

أما الرواية التي استدل بها جولد تسيهر فهي كما يلي: عن ابن شهاب قال: خرجنا مع الحجاج بن يوسف إلى الحج، فلما كنا بالشجرة، قال: تبصروا الهلال فإن في بصري عهدة، فقال له نوفل بن مساحق أتدري مم ذاك؟ ذاك من كثرة نظرك في الدفاتر[82].

لم يكن ابن شهاب الزهري من رجال بلاط الحجاج ولا من حاشيته، بل خرج للحج في صحبة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. وإذا حدث لقاء مع الحجاج أثناء السفر، فقد كان ذلك تبعاً لصحبته لابن عمر، وهذا اللقاء لا يقدح في ثقته وعدالته، وإذا حاول أحد ذوي الأغراض الطعن فيه بسبب هذا اللقاء، فليعلم أن اللقاء لم يكن لابن شهاب وحده، ولزم حينئذ تطبيق نفس الحكم على بقية الأفراد الذين كانوا معه.

يقول الحافظ ابن حجر:

> "قلت رواية معمر التي أشار إليها أخرجها عبد الرزاق في مصنفه عنه ولفظه: كتب عبد الملك إلى الحجاج، أن اقتد بابن عمر في المناسك فأرسل إليه الحجاج يوم عرفة إذا أردت أن تروح فآذنا فراح هو وسالم وأنا معهما وقال في آخره قال ابن شهاب وكنت صائماً فلقيت من الحر شدة"[83].

ابن شهاب الزهري وقبول منصب القضاء

إن اعتراض جولد تسيهر على ابن شهاب الزهري بناءً على قبوله منصب القضاء ينافي الحقائق التاريخية والتقاليد الإسلامية:

---

[82] - أبو بكر خطيب البغدادى، **تقييد العلم** (بيروت: دار إحياء التراث السنة النبوية، 1974م)، 140.

[83] - ابن حجر العسقلانى، **تهذيب التهذيب** (بيروت: دار الكتب العلمية، 1994م)، 388:9.

إن منصب القضاء ليس ضد التقوى، بل هو من السنة النبوية.فقد عين رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، ومعقل بن يسار وغيرهم قضاةً، ومن بعدهم أدى كبار التابعين مثل القاضي شريح وابن أبي ليلى هذه الخدمات في عهد بني أمية، ولم يطعن أحد في تقواهم.

لقد استدل جولد تسيهر بهروب الإمام الشعبي من هذا المنصب بينما الحقيقة هي أن الإمام الشعبي نفسه قبل منصب القضاء في عهد الحجاج ويزيد بن عبد الملك بعد تغير الظروف السياسية وظل يشغله، ولم يكن قبول المنصب عيباً عند أكابر الأمة، بل كان المقصود منه جعله وسيلة لإقامة العدل، وكان قبول ابن شهاب الزهري للمنصب جزءاً من هذا الروح الإصلاحي.

أما دعوى المستشرقين بأن منصب القضاء ينافي التقوى وأن قبوله يقضي على المكانة الدينية، فهي مبنية على سوء فهم محض، وفي هذا الصدد ورد الحديث النبوي ﷺ: من تولى القضاء فقد ذبح بغير سكين[84]،[85]،[86]،[87]،[88].

لقد استُدل بهذا الحديث الشريف استدلالا خاطئا وفقا للأهواء، وحاولوا إثبات أن تولي منصب القضاء ممنوع في الإسلام.بينما الحقيقة والحكمة ومقتضى الحديث الشريف بخلاف ذلك تماماً، إذ إن التأكيد هنا يقع على العدل والإنصاف وإصدار الأحكام المبنية على الحق، وهو المفهوم الحقيقي والحكمة التي عجز هؤلاء عن فهمها.

بلا شك إن الاجتناب والاحتراز منقول عن أئمة الحديث، لكن الأئمة أنفسهم قد صرحوا بعلّة ذلك، فتولي منصب القضاء لتنفيذ القوانين الإسلامية هو فريضة على علماء الدين، وإذا لم يتدخل الحاكم في الشرع، فإن تولي القضاء تحت سلطته جائز بالاتفاق،أما الذبح بغير سكين فليس منعاً، بل هو تأكيد على العدل والاحتياط.

وبحسب العلامة المرغيناني فإن قبول منصب القضاء تحت الحاكم الظالم جائز للأسباب التالية:

---

[84] - أبو داؤد سليمان بن الأشعث، **سنن أبى داؤد** (بيروت: المكتبة العصرية، بدون التاريخ)، رقم الحديث: 3581.

[85] - أبوعيسى محمد بن عيسى الترمذى، **سنن الترمذى** (مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى بابلى الحلبى، 1395ھ)، رقم الحديث:1325.

[86] - أبو عبد الله محمد بن يزيد القزوينى، **سنن ابن ماجة** (بيروت: دار إحياء الكتب العربية)، رقم الحديث: 2308.

[87] - أبو بكر ابن أبى شيبة، **الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار** (الرياض: مكتبة الرشد، 1409ھ)، رقم الحديث: 22987.

[88] - بدر الدين عينى الحنفى، **عمدة القارى** (بيروت: دار إحياء التراث العربى، بدون التاريخ)، 70:16.

يجوز تولي القضاء تحت الحاكم الظالم كما قبله الصحابة في عهد معاوية والتابعون في عهد الحجاج والمعيار الوحيد في ذلك هو أن يترك الحاكمُ القاضيَ يحكم بالحق، فإذا تدخل في العدل، صار قبول المنصب غير جائز[89]،[90].

وقد كتب أبو بكر ابن العربي: إن التعاون في أمور السلطنة فرض كفاية، فإذا تولى هذه المسؤولية ثلة من أهل العلم، نجا الأمة من الإثم واستقام نظام العدل، وإلا أثم الجميع.[91] إن قبول منصب القضاء لا يقدح في الثقة، بل هو شرف عظيم بكونه نيابة عن رسول الله ﷺ وقياماً بالحق.وادعاء المستشرقين بأنه عيب هو ادعاء باطل، لأن الحكم بما أنزل الله سعادة دينية.

أما العلماء الذين اجتنبوا هذا المنصب، فموقفهم لم يكن بدافع الجرح أو لكونه ذنباً، بل كان محض تقوى واحتياط شديد وخوف من المساءلة بين يدي الله عز وجل.

الخاتمة

بعد دراسة الموضوع توصل البحث إلى النتائج الآتية:

1. يُعدّ الإمام ابن شهاب الزهري من أبرز أعلام التابعين، وقد أسهم إسهاماً عظيماً في حفظ السنة النبوية وجمعها ونقلها إلى الأجيال اللاحقة.
2. اختاره الخليفة عمر بن عبد العزيز للقيام بمهمة تدوين الحديث، فكان من أوائل من أسهموا في تأسيس حركة التدوين المنظم للسنة النبوية.
3. كان للزهري دور بارز في ترسيخ منهج الإسناد، مما أسهم في تمييز الحديث النبوي من غيره وحفظه من التحريف.
4. تلقى العلم عن عدد كبير من الصحابة رضي الله عنهم، وتمتع بقوة الحفظ وسعة المعرفة، حتى أصبح مرجعاً علمياً بارزاً في عصره.
5. أسهم في استمرار المدرسة الحديثية من خلال تربية عدد من كبار الأئمة، وفي مقدمتهم الإمام مالك وسفيان بن عيينة.
6. اتسمت شخصيته بالاستقلال العلمي والجرأة في قول الحق، وظهر ذلك في مواقفه مع بعض خلفاء بني أمية ونصحه لهم.
7. أجمع أئمة الجرح والتعديل على توثيقه وعلو مكانته العلمية، وعدّه المحدثون من أركان الرواية وأصحاب الأسانيد العالية.

---

[89]- أبو بكر ابن أبى شيبة، **الكتاب المصنف فى الأحاديث والآثار** (الرياض: مكتبة الرشد، 1409هـ)، رقم الحديث: 22987.

[90] - على بن أبو بكر المرغينانى، **الهداية** (كراتشى: إدارة القرآن والعلوم الإسلامية، 1417هـ)، 5:359.

[91] - أبو بكر ابن العربى، **عارضة الاحوذى** (بيروت: دار إحياء التراث العربى، 1995م)، 2:64.

8. لم يقتصر دوره على رواية الحديث، بل كان فقيهاً صاحب نظر واجتهاد، وكان لتدوينه آثار الصحابة أثر مهم في خدمة الفقه الإسلامي.
9. أثارت شخصية الزهري اهتمام الباحثين قديماً وحديثاً، وقد ثبت ضعف كثير من الشبهات التي أثيرت حوله وحول علاقته بالسلطة الأموية.
10. تؤكد شهادات الأئمة، ومنهم الإمام الشافعي، أن الزهري كان من أعظم حفظة السنة النبوية، وأن جهوده كان لها أثر حاسم في حفظ التراث العلمي للمدينة النبوية وللأمة الإسلامية عامة.

التوصيات

وفي ضوء النتائج التي توصل إليها البحث، يمكن تقديم التوصيات الآتية:

1. ضرورة إعداد قاعدة بيانات علمية رقمية شاملة لمرويات الإمام ابن شهاب الزهري، تُسهم في تسهيل دراسة منهجه الحديثي والفقهي وتمكين الباحثين من الإفادة منها وفق الوسائل التقنية الحديثة.
2. تشجيع الباحثين وطلبة الدراسات العليا على إنجاز دراسات أكاديمية متخصصة للرد على الشبهات المثارة حول الإمام الزهري وجهوده في خدمة السنة النبوية، وفق المنهج العلمي الرصين.
3. إدراج سيرة الإمام ابن شهاب الزهري ومنهجه في حفظ الحديث وتدوينه ضمن المقررات الدراسية في الجامعات والكليات الشرعية؛ لما لذلك من أثر في تعريف الأجيال بمكانته العلمية ودوره في حفظ السنة النبوية.

أحمد الله -تعالى- على إكمال هذا البحث.

Bibliography

1. *Al-Qurʾān.*
2. *ʿAbd Al-Raḥmān Ibn ʿAlī Ibn Al-Jawzī. Ṣifat Al-Ṣafwah. Miṣr: Dār Al-Ḥadīth, 1421 AH.*
3. *ʿAbd Al-Raḥmān Ibn Muḥammad Ibn Abī Ḥātim. Al-Jarḥ Wa-Al-Taʿdīl. Ḥaydar Ābād: Majlis Dāʾirat Al-Maʿārif Al-ʿUthmāniyyah, 1271 AH.*
4. *Abū ʿAbd Allāh Muḥammad Ibn Yazīd Al-Qazwīnī. Sunan Ibn Mājah. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Kutub Al-ʿArabiyyah, Without Year.*
5. *Abū Al-Faḍl Muḥammad Ibn Mukarram Jamāl Al-Dīn Ibn Manẓūr. Mukhtaṣar Tārīkh Dimashq Li-Ibn ʿAsākir. Dimashq: Dār Al-Fikr Lil-Ṭibāʿah Wa-Al-Tawzīʿ Wa-Al-Nashr, 1413 AH.*
6. *Abū Al-Ḥajjāj Yūsuf Ibn ʿAbd Al-Raḥmān Al-Mizzī. Tahdhīb Al-Kamāl. Bayrūt: Muʾassasat Al-Risālah, 1400 AH.*
7. *Abū Al-Ḥasan ʿUbayd Allāh Ibn Muḥammad ʿAbd Al-Salām Al-Mubārakfūrī. Mirʿāt Al-Mafātīḥ Sharḥ Mishkāt Al-Maṣābīḥ. Al-Hind: Idārat Al-Buḥūth Al-ʿIlmiyyah Wa-Al-Daʿwah Wa-Al-Iftāʾ, Al-Jāmiʿah Al-Salafiyyah, 1404 AH.*
8. *Abū Bakr ʿAbd Allāh Ibn Muḥammad Ibn Abī Shaybah. Al-Muṣannaf Fī Al-Aḥādīth Wa-Al-Āthār. Al-Riyāḍ: Maktabat Al-Rushd, 1409 AH.*
9. *Abū Bakr Aḥmad Ibn ʿAlī Al-Khaṭīb Al-Baghdādī. Taqyīd Al-ʿIlm. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Sunnah Al-Nabawiyyah, 1974 AD.*
10. *Abū Bakr Muḥammad Ibn ʿAbd Allāh Ibn Al-ʿArabī. ʿĀriḍat Al-Aḥwadhī. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī, 1995 AD.*
11. *Abū Dāwūd Sulaymān Ibn Al-Ashʿath. Sunan Abī Dāwūd. Bayrūt: Al-Maktabah Al-ʿAṣriyyah, Without Year.*
12. *Abū ʿĪsā Muḥammad Ibn ʿĪsā Al-Tirmidhī. Sunan Al-Tirmidhī. Miṣr: Sharikat Maktabat Wa-Maṭbaʿat Muṣṭafā Al-Bābī Al-Ḥalabī, 1395 AH.*
13. *Abū Muḥammad ʿAlī Ibn Aḥmad Ibn Saʿīd Ibn Ḥazm Al-Andalusī Al-Qurṭubī. Jamharat Ansāb Al-ʿArab. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, 1983 AD.*
14. *Abū Nuʿaym Aḥmad Ibn ʿAbd Allāh Al-Aṣfahānī. Ḥilyat Al-Awliyāʾ Wa-Ṭabaqāt Al-Aṣfiyāʾ. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, 1409 AH.*
15. *Abū ʿUmar Khalīfah Ibn Khayyāṭ. Tārīkh Khalīfah. Dimashq: Dār Al-Qalam, 1397 AH.*
16. *Aḥmad Ibn ʿAlī Al-Khaṭīb Al-Baghdādī. Al-Jāmiʿ Li-Akhlāq Al-Rāwī Wa-Ādāb Al-Sāmiʿ. Al-Riyāḍ: Maktabat Al-Maʿārif, 1983 AD.*
17. *Aḥmad Ibn ʿAlī Ibn Ḥajar Al-ʿAsqalānī. Fatḥ Al-Bārī Sharḥ Ṣaḥīḥ Al-Bukhārī. Bayrūt: Dār Al-Maʿrifah, 1379 AH.*
18. *Aḥmad Ibn ʿAlī Ibn Ḥajar Al-ʿAsqalānī. Tahdhīb Al-Tahdhīb. Al-Hind: Maṭbaʿat Dāʾirat Al-Maʿārif Al-Niẓāmiyyah, 1326 AH.*

19. *Aḥmad Ibn ʿAlī Ibn Ḥajar Al-ʿAsqalānī. Taqrīb Al-Tahdhīb. Bayrūt: Dār Al-Fikr, 1995 AD.*
20. *Aḥmad Ibn Muḥammad Ibn Ibrāhīm Ibn Khallikān. Wafayāt Al-Aʿyān. Bayrūt: Dār Ṣādir, Without Year.*
21. *ʿAlī Ibn ʿAbd Allāh Al-Madīnī. Al-ʿIlal. Bayrūt: Al-Maktab Al-Islāmī, 1980 AD.*
22. *ʿAlī Ibn Abī Bakr Al-Marghīnānī. Al-Hidāyah. Karātshī: Idārat Al-Qurʾān Wa-Al-ʿUlūm Al-Islāmiyyah, 1417 AH.*
23. *ʿAlī Ibn Al-Ḥasan Ibn ʿAsākir. Tārīkh Dimashq. Bayrūt: Dār Al-Fikr Lil-Ṭibāʿah Wa-Al-Nashr Wa-Al-Tawzīʿ, 1415 AH.*
24. *Badr Al-Dīn Maḥmūd Ibn Aḥmad Al-ʿAynī. ʿUmdat Al-Qārī. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī, Without Year.*
25. *Ḥāfiẓ Muḥammad ʿAbd Al-Qayyūm. Imām Ibn Shihāb Al-Zuhrī Aur Un Par Iʿtirāḍāt Kā Taḥqīqī Jāʾizah. Lāhawr: Shaykh Zāyid Islamic Center, Jāmiʿah Panjāb, 2006 AD.*
26. *Ibn ʿAbd Rabbih Al-Andalusī. Al-ʿIqd Al-Farīd. Bayrūt: Dār Al-Fikr, Without Year.*
27. *Ismāʿīl Ibn ʿUmar Ibn Kathīr. Al-Bidāyah Wa-Al-Nihāyah. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī, 1408 AH.*
28. *ʿIzz Al-Dīn Abū Al-Ḥasan ʿAlī Ibn Muḥammad Ibn Al-Athīr. Al-Kāmil Fī Al-Tārīkh. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿArabī, 1417 AH.*
29. *Khayr Al-Dīn Ibn Maḥmūd Al-Ziriklī. Al-Aʿlām. Bayrūt: Dār Al-ʿIlm Lil-Malāyīn, 2002 AD.*
30. *Muḥammad Ibn Aḥmad Al-Dhahabī. Al-ʿIbar Fī Khabar Man Ghabar. Bayrūt: Dār Al-Kutub Al-ʿIlmiyyah, Without Year.*
31. *Muḥammad Ibn Idrīs Al-Shāfiʿī. Al-Risālah. Miṣr: Maktabat Al-Ḥalabī, 1358 AH.*
32. *Muḥammad Ibn Muḥammad Al-ʿAwājī. Marwiyyāt Al-Imām Al-Zuhrī Fī Al-Maghāzī. Without Place: Without Publisher, 1425 AH.*
33. *Muḥammad Ibn Saʿd Ibn Munīʿ. Al-Ṭabaqāt Al-Kubrā. Bayrūt: Dār Iḥyāʾ Al-Turāth Al-ʿArabī, 1996 AD.*
34. *Muḥammad Ibn Ṣādiq Bankīrān. Tadwīn Al-Sunnah Al-Nabawiyyah Fī Al-Qarnayn Al-Thānī Wa-Al-Thālith Lil-Hijrah. Al-Madīnah Al-Munawwarah: Majmaʿ Al-Malik Fahd Li-Ṭibāʿat Al-Muṣḥaf Al-Sharīf, Without Year.*
35. *Muḥyī Al-Dīn Yaḥyā Ibn Sharaf Al-Nawawī. Tahdhīb Al-Asmāʾ Wa-Al-Lughāt. Bayrūt: Dār Al-Fikr, 1996 AD.*
36. *Muslim Ibn Al-Ḥajjāj Ibn Muslim. Al-Tamyīz. Al-Saʿūdiyyah: Maktabat Al-Kawthar, 1410 AH.*
37. *Muṣṭafā Al-Sibāʿī. Al-Sunnah Wa-Makānatuhā Fī Al-Tashrīʿ Al-Islāmī. Lāhawr: Al-Maktab Al-Islāmī, 1985 AD.*
38. *Shams Al-Dīn Abū ʿAbd Allāh Muḥammad Ibn Aḥmad Al-Dhahabī. Siyar Aʿlām Al-Nubalāʾ. Bayrūt: Muʾassasat Al-Risālah, 1405 AH.*

39. *Shams Al-Dīn Abū ʿAbd Allāh Muḥammad Ibn Aḥmad Al-Dhahabī. Tārīkh Al-Islām Wa-Wafayāt Al-Mashāhīr Wa-Al-Aʿlām. Bayrūt: Dār Al-Kitāb Al-ʿArabī, 1413 AH.*
40. *Ṭāhir Ibn Ṣāliḥ Ibn Aḥmad Al-Samʿūnī Al-Jazāʾirī Al-Dimashqī. Tawjīh Al-Naẓar Ilā Uṣūl Al-Athar. Ḥalab: Maktabat Al-Maṭbūʿāt Al-Islāmiyyah, 1416 AH.*
41. *Yaʿqūb Ibn Sufyān Al-Fasawī. Al-Maʿrifah Wa-Al-Tārīkh. Bayrūt: Muʾassasat Al-Risālah, 1401 AH.*
42. *Yūsuf Ibn ʿAbd Allāh Ibn ʿAbd Al-Barr. Al-Tamhīd Limā Fī Al-Muwaṭṭaʾ Min Al-Maʿānī Wa-Al-Asānīd. Al-Maghrib: Wizārat ʿUmūm Al-Awqāf Wa-Al-Shuʾūn Al-Islāmiyyah, 1387 AH.*